كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثانية عشر

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة العربية: الممالك السودانية واثرها في امتداد الاسلام في مناطق السنغال والنيجر

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة الإنكليزية: The Sudanese kingdoms and their impact on the spread of Islam in the regions of Senegal and Niger

محتوى المحاضرة الثانية عشر

رابعاً: الممالك السودانية وأثرها في امتداد الاسلام في مناطق السنغال والنيجر

١ ـ مملكة غانا الاسلامية

قامت في السودان الغربي في العصر الوسيط عدد من الممالك، كان عمادها زمن ازدهارها وقوتها الدين الاسلامي عقيدة، واللغة العربية في الادارة والثقافة والنشاط الاقتصادي. وكان لبعض هذه الامبراطوريات اصول وثنية غير انها بلغت الذروة والقوة في عهدها الاسلامي وقامت علاقات قوية ومتنوعة بين هذه المماليك وبين الدولة العربية الاسلامية، كما سادت فيها التقاليد العربية الاسلامية بعد ان استقر فيها عدد كبير من العرب والمسلمين واختلطوا بسكانها . كانت غانة اول حكومة سياسية في السودان الغربي. وقد بلغت ذروة عظمتها في القرن التاسع الميلادي الى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي. وكلمة غانة على ما يبدو كانت في الاصل لقبا لحكامها، لكن الكتاب العرب استخدموا هذا الاس لاسم علما للدلالة على العاصمة وعلى الحكومة (*). وظلت هذه الكلمة مستخدمة كذلك منذ ذلك الحين. وكلمة غانة ليست لها اصول عربية، انما على ما يبدو كلمة سوننكية سودانية معناها " القيادة العسكرية "

اما عن الاصول السكانية لغانة، فهناك اساطير مختلفة حول اصولهم، منها ما ترجعهم اصلا الى وادي دجلة والفرات، لكن المعروف ان سكان هذه المنطقة هم من السوننك وهم فرع من " الماند " اي من مجموعة الشعوب السودانية المتكلمة بالماند والسوننك كانوا يقيمون اصلا في الحافات الجنوبية للصحراء ثم اندفعوا بعد ذلك جنوبا وهم فروع مختلفة اشتهرت باسماء مختلفة

ان معلوماتنا عن فجر تاريخ دولة غانة يكاد يكون نادرا، والموجود منه ليس من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليه. غير ان المعلومات تبدا في الوضوح والدقة منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث بدا الكتاب العرب بتسجيل نصوص عديدة عن مملكة غانه.

كل الذي نعرفه عن اول حكومة قامت في غانة، يرجع تاريخها الى القرن الاول الميلادي ثم صارت ذات باس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادي. والمتوافر في المصادر، ان حكامها كانوا من البيض البربر وربما كانوا يحملون اصولا شرقية والمعروف ان عدد ملوك اول اسرة حكمت غانه كان ٤٤ ملكا لا نعرف سوى اسماء اثنين منهم ولقب ثالث . وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون حتى عام ١٥٣هـ/ ٧٥٠م حيث نجحت اسرة سودانية من السوننك، في طرد اسرة البيض الحاكمة، وحكمت مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، باستثناء المدة التي استوى خلالها المرابطون على غانة عام ١٠٧٦-١٠٨٧ . م. غانا حتى في عهد هذه الاسرة بلغت غانا ذروة مجدها واتساعها حيث يصفها ابن حوقل في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بانها مملكة قوية وغنية ، حيث استطاع حكام غانة من السوننك توسيع حدود مملكتهم وجعلها امبراطورية. فقد استولوا على مدينة أو دغست عام ٣٩٠هـ/ ٩٩٠م وهي المركز التجاري المهم في حافات الصحراء الجنوبية، وعينوا حاكما سوننكيا عليها بدل حاكمها الصنهاجي، وظلت خاضعة الى نه حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي دخلها المرابطون وانهوا حكم الحكم وثني في غانه عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م، كما اشرنا أنفاً ومن البلاد الهامة التي خضعت لغانة مدن ولاته وكوغة وسامة وغيرها. والواقع ان مدى اتساع امبراطورية غانة ليس معروفا على وجه الدقة، لكن المحقق ان نفوذها كان واسعا بحيث امتد . الصحراء الى منطقة النيجر جنوبا وغربا الى نهر السنغال، وكذلك سيطرت على تجارة الملح والذهب بين بلاد المغرب والسودان الغربي اما عاصمة هذه الامبراطورية وهي مدينة غانه التي يرجع تأسيسها الى عام ٣٠٠م، فقد ازدهرت زمن حكومة السوننك الاسلامية، ويخبرنا البكري عن مدينة غانة بأنها تنقسم الى حيين أحدها للملك والآخر للمسلمين وان مبانيها كبيرة، حيث يقول: " مدينة غانة مدينتان سهليتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنى عشر مسجدا احدها يجمعون فيه، ولها الايمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم، وحواليها أبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضروات. ومدينة الملك على ستة اميال من هذه وتسمى الغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حايط كالسور، وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين... وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه ".

وهكذا نجد ان الاسلام كان قد انتشر في غانة ايام حكم السوننك السودانيين. بل نجد ان الوجود والتأثير العربي الاسلامي كان واسعا وعميقا في هذه المدينة. كما ان المسلمين كانوا يشاركون في الحياة الادارية والعامة لغانة.

غانة الاسلامية:

عرنا فيما تقدم ان الاسلام قد وصل منذ وقت مبكر الى مناطق السودان الغربي حيث حمله التجار والمهاجرون العرب منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. ان حقيقة ٬، الاسلام الى غانة لاول مرة امر يصعب البت فيه، ولا سيما ان المصادر المعاصرة اث غير موجودة، وفي هذا المجال لابد من الاشارة الى ان غانة كانت مركزا لتجارة الذهب، ولذا علينا القول من الممكن ان اتصال المسلمين بها كان منذ مبكر وقت. ويكفينا ان نعرف ان اول اشارة الى كون غانة مصدرا للذهب جاءتنا من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث سجلها الفلكي العربي الفزاري ، وهذا يعني ان غانة قد شهدت وصول التجار العرب والمسلمين اليها منذ هذا التاريخ في اقل تقدير. اما في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي فقد كانت غانة معروفة للعرب المسلمين وقد ظهرت في خارطة الجغرافي العربي الخوارزمي . وعرف عن غانة آنها كانت على اتصال مع المراكز الاباضية في بلاد المغرب مثل تاهرت منذ القرن ٢ هـ/ ٨م، وقد وصل التجار الاباضية الى مناطق السودان الغربي ومن بينها غانة منذ ذلك الوقت المبكر . ولا بد ان تكون هذه الصلات قد فتحت المجال لانتشار الاسلام في تلك المناطق. كما كان لغانة اتصال بالمراكز الاسلامية الأخرى في بلاد المغرب كالقيروان؛ ولنا ان نذكر هنا ان عبد الله بن ياسين مؤسس الحركة المرابطية كان قد وصل الى مناطق الصحراء الغربية والسودان الغربي بتوجيه من احد علماء القيروان كما ذكرنا سابقاً. ولهذا نلحظ بسبب التأثيرات المتعددة، اعلن حاكم التكرور وارجابي بن رايس أسلامه في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ونجد ان هناك مجموعة من الغانيين كانوا قد اهتدوا الى الاسلام نتيجة لاتصالهم بالقادمين العرب المسلمين الى غانة .

هكذا دخل الاسلام الى غانة وانتشر بين أهلها، لكننا لا نستطيع القول أن تلك البلاد اصبحت كلها مسلمة، حكومة وشعبا في القرن ٥ هـ/ ١١ م. والراجح ان اعدادا كبيرة من سكان غانة لا سيما التجار السودانيين وكل من اتصل بالعرب المسلمين قد اعتنقوا الاسلام منذ وقت مبكر. وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي جاء المرابطون الى غانة لينهوا الوجود السياسي الوثني فيها، ولتبدأ معهم عملية نشر واسعة وعميقة للاسلام في غانة والسودان الغربي كله. ومما يؤكد لنا هذا الامر ما وصلنا عن الجغرافي العربي الزهري في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي،الذي يعد واحدا من مصادرنا عن انتشار الاسلام في غانة، حيث ذكر: " مدينة غانة.. واليها تدخل القوافل من بلاد السوس الاقصى والمغرب واهل هذه البلاد كانوا يتمسكون فيما سلف بالكفر الى عام ٤٦٩ هـ و ، وذلك عند خروج يحيى بن ابي بكر امير مسوفة واسلموا في مدة لمتونة وحسن اسلامهم وهم اليوم مسلمون وعندهم الماء والقراء وسادوا في ذلك. اتي منهم الى بلاد الاندلس رؤوساء من اكابرهم وساروا الى مكة وزاروا وانصرفوا الى بلادهم وانفقوا اموالا كثيرة في الجهاد .

وبهذا يعد الزهري عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦ عاما حاسما في تاريخ غانة، ففي هذا العام وتحت تأثير المرابطين اصبح سكان غانا مسلمين. ان قوله هذا يؤكد لنا الفكرة القائلة بان الاسلام في غانة لم يكن واسع الانتشار قبل عام ٤٦٩هـ اي قبل دخول المرابطين، ولكن في الجانب الآخر من الصعب الاعتقاد ان كل الغانيين اسلموا بخطوة مفاجئة وكرجل واحد في عام ٤٦٩هـ ايام دخول المرابطين الى تلك المنطقة. والاحتمال الممكن ان الزهري اراد ان يشير الى ان الملك السوننكي وبلاطه قد اسلم،اي ان مملكة غانة اعلنت انتماءها سياسيا الى العالم الاسلامي انذاك.

ويبدو ان المرابطين لم يقفوا عند نشر الاسلام وامتداده في منطقة غانة و وحدها، بل كان لهم الفضل في اثارة روح الجهاد بين سكان تلك المنطقة من اجل نشرة في مناطق السودان الغربي الأخرى. ويكفينا ان نرجع الى نص الجغرافي السابق الزهري، حيث نجد فيه اشارة صريحة الى ما قام به اهل غانة من جهود واسعة من اجل نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في مناطقهم، لا سيما بعد ان تلقوا تعليمهم في المراكز الاسلامية المختلفة سواء في بلاد المغرب او الاندلس او مكة. لم يطل خضوع غانة سياسيا للمرابطين اكثر من ثلاث سنوات (٤٧١-٤٦٩هـ/ ١٠٧٦-١٠٧٨م)، ولكن تأثير هذه المدة كان كبيرا سواء من حيث امتداد الاسلام وتقوية العقيدة الاسلامية في السودان الغربي، ام من حيث ربط المنطقة بالعالم الاسلامي، يدلل على ذلك ما ذكره الادريسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فهو حين يتكلم من غانة قائلا: " ان اهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله الحسن بن علي بن ابي طالب وهو يخطب لنفسه، لكنه تحت طاعة امير المؤمنين العباسي"

وبذلك نستطيع القول أن شعب وحكومة غانة لم يصبحوا مسلمين فقط، وانما شعروا بانتمائهم وولائهم الى الخلافة العربية الاسلامية. كانت نهاية مملكة غانة سياسيا من السودان الغربي في مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. ويمكن ارجاع عوامل انهيارها الى عامل طبيعي وهو الجفاف التدريجي الذي حل بالمناطق الواقعة شمال . حوض السنغال منذ القرن الخامس الهجري / الحادي الميلادي او قبل ذلك، وما سببه من هجرة الكثير من سكان المنطقة. اما العامل الثاني فكان الأكثر حسما وهو الغزو الحربي الذي تعرضت له غانة وما تبعه من ضعف المملكة وتفتتها باعلان الامارات الخاضعة لسلطتها استقلالها. ومن هذه العمليات الحربية استيلاء المرابطين على غانة وما تبعه من اضطرابات ادت الى اضعاف سلطة السوننك على الامارات التابعة لهم. ثم غزو الصوصو الوثنيين من قبائل الفولانيين السودانية في مطلع القرن ٧هـ/ ١٣ م، الذين كانوا قد تخلصوا من سلطة غانة في اواخر القرن ٦هـ/ ١٢م، حيث دخلوا عاصمة غانة عام ١٢٠٣م، مما اضطر سكانها المسلمين الى الهجرة الى مدينة ولاتة شمالا في حافات الصحراء الجنوبية، حيث اقاموا مركزا تجارياً فيها ازدهر بسرعة .

واخيرا جاء غزوا اخر كانت فيه نهاية مملكة غانة، وكان هذا في منتصف القرن ٧هـ/ ١٣م حيث استطاعت دولة مالي النامية بقيادة ملكها ماري جاطة دخول العاصمة غانة عام ١٢٤٠م وانهاء وجود الصوصو في المنطقة.

وهنا لا بد من كلمة مختصرة عن النظم الادارية والاقتصادية في مملكة غانة الاسلامية التي كانت النتيجة الحتمية لوجود المؤثرات العربية الاسلامية الى مناطق السودان الغرب كان نظام الحكم في غانة ملكيا سواء في عهدها الوثني او الاسلامي. ووراثة العرش لابن الاخت وكان سائدا في امبراطورية غانة الوثنية، ويعلله البكري، بتوفير اليقين في ان الوليد هو ابن امه وهذا صحيح، لكن من المعروف ايضا، ان لهذه الظاهرة اصولا ترجع الى التقاليد الوثنية القديمة وهي التي تعطي للمراة مكانة عالية عند اغلب القبائل الافريقية الوثنية الا ان هذه الظاهرة قد اختفت باسلام البيت الحاكم في غانة من القرن ٥هـ/ ١١م، وصار الابن هو الذي يرث العرش عن ابيه الملك.

كان ملك غانة ينظر في جميع شؤون الامبراطورية مهما كانت صحته ومقدرته ولياقته والامبراطورية مقسمة على عدد من الولايات او الممالك يحكمها حكام خاضعون لملك غانة ومع ان نظام الحكم كان يقوم على المركزية، الا ان بعض المقاطعات، كان الحكم فيها قد اصبح وراثيا في اسرة معينة، حتى اذا ما احست هذه المقاطعات الوراثية الخاضعة لغانة بضعف في السلطة المركزية بالعاصمة اعلنت استقلالها. اما طبيعة الموظفين في دولة غانة بما فيهم مستشارو الملك ووزراؤه وخازن بيت المال، فقد كانوا حتى في ايام الملك الوثني لدولة غانة، من المسلمين المهاجرين اليها من الشمال (بلاد المغرب) والمستقرين في غانة منذ وقت مبكر كما اسلفنا. ومن تقاليد الحكم في امبراطورية غانة، المجالس التي يعقدها الملك للنظر في المظالم بنفسه ومن الاوصاف التي وصلتنا عنها نجد ان الاثر الاسلامي واضح فيها . اما من ناحية القوة العسكرية فقد اشتهرت امبراطورية غانة بقوة جيشها وكثرة تعداده ويتكون في الغالب من القبيلة التي تنتمي لها الاسرة الحاكمة. وكان الجيش مسلحا تسليحا جيدا مما اكسبه قوة، واهم ما امتاز به هذا الجيش قوة فرسانة .

اما الحياة الأقتصادية في مملكة غانة، فالثابت ان اثرها وشهرتها قد اكتسبتها من ارباحها الطائلة. فموقع غانة جعلها حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان، كما ان تحكمها في طرق التجارة المؤدية الى مناجم الذهب في جنوبها قد ادى الى غناها. اصبحت مدينة غانة اكبر سوق للتجارة في بلاد السودان زمن ازدهار امبراطورية غانة استقر فيها عدد كبير من التجار العرب والمسلمين القادمين من الشمال تحكموا في تجارتها. كما كانت غانة تصدر الذهب والرقيق والجلود والعاج والكولا والصمغ والعسل وكذلك القطن والقمح. وتستورد الملح والنحاس الاحمر والفواكه المجففة وادوات الزينة، وكانت هذه السلع توزغ من غانة الى جميع ارجاء بلاد السودان الغربي. اما فيما يخص البناء الاجتماعي، فكان السائد في امبراطورية غانة النظام القبلي، شأن غيرها من والممالك التي قامت في

بلاد السودان. غير ان قيام حكومة مركزية في غانة ساعد على اضعاف التناحر بين القبائل، كما ان الاسلام وتعاليمه كان اكبر عامل في اضعاف العصبية القبلية وان لم يمحها، فبفضل الاسلام والثقافة العربية الاسلامية اتصل سكان غانة بارقى الحضارات الانسانية المعاصرة انذاك وهي الحضارة العربية الاسلامية التي اثرت في كل نواحي الحياة فيها فاتصال العاصمة غانة بمراكز الثقافة العربية الاسلامية كان قد اثرى الحياة الثقافية فأصبحت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الى جانب كونها لغة التبادل التجاري، كما أقبل أهل غانة على مناهل العلوم والمعارف الاسلامية بحماس شديد وبرزت منهم مجموعات مثقفة كبيرة.